علـــم نفـس الطفـل عند علمـاء النفـس العـــرب

أ. د. عمـر هارون الخليفـــة - علـــم النفـــس -اليابان / السـودان
okhaleefa@hotmail.com

ملخص الدراسة : تخلص إلى أن علماء التراث العربي الإسلامي قدموا مساهمة كبيرة في بلورة ملامح ومعالم علم نفس الطفل. ويتضح ذلك من المؤلفات العلمية المتخصصة عن الطفولة والتي قدمت التعاريف والتصنيفات والتفسيرات والتشخيصات والمعالجات للقضايا المطروحة. وتعتبر مساهمة ابن الجزار والبلدي، خاصة، من أكمل وأنضج المساهمات البحثية. لقد أرست كتابات علماء التراث ملامح علم نفس النمو من خلال وصف وتحديد المفاهيم والتصنيف الدقيق لمراحل النمو من الناحية الزمنية ومعالجة بعض جوانب النمو المختلفة كالنمو الحركي والانفعالي والاجتماعي والعقلي وفقا لما هو متاح في تلك الفترة . ولكن من المساهمات الباهرة للعلماء العرب والمسلمين مساهمتهم في تحديد الاضطرابات النفسية الخاصة بالأطفال ومعرفة أسبابها وكيفية علاجها . واهتم هؤلاء العلماء بصورة خاصة بموضوع التدبير والصحة النفسية للأطفال .

إذا أردنا التحديد، كانت الدراسات الأولى حول نمو الأجنة في الغرب في القرن الثامن عشر حسب تاريخ روكلن (1983)، بينما كان أول مؤلف في علم الأجنة في التراث العربي الإسلامي هو "مقالة في الجنين" ليوحنا بن ماسويه. لقد تم اعتبار كتاب شين "مذكرات عن تطور الطفل" من الكتب الهامة عن تطور الفرد في تاريخ علم النفس الغربي على حسب تأريخ فلوجل (1988)، بينما عالج ابن البلدي نفس الموضوع في القرن التاسع الميلادي . وفي الغرب تم اعتبار كتاب أمراض الأطفال المولودين حديثا والرضع "ليبارد" وكتاب أمراض الطفولة "لبارتز" من أوائل الكتابات الغربية عن طب الأطفال على حسب تأريخ تاتون (1988)، بينما كان مؤلف الرازي "رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم" أول مؤلف مكتمل عن طب الأطفال في التراث العربي الإسلامي .

لقد لاحظ اسبين وبيكو اختفاء الصرع طويلا بشكل وجع بسيط في القرن التاسع عشر بينما قدم ابن الجزار نفس الملاحظة في القرن التاسع الميلادي بفارق ألف عام . ومن ناحية تاريخية، نلاحظ أن تأسيس علم نفس الطفل في الغرب كان في القرن التاسع عشر وأحرز تقدمه في القرن العشرين كما ذكرنا في مقدمة هذه الدراسة . ولكن تاريخ علم نفس الطفل في الغرب ليس هو تاريخ كل البشرية . والسؤال لماذا تحاول المركزية الغربية المتعلقة بتاريخ علم النفس أن تتجاهل مساهمة الحضارات الأخرى في تاريخ العلم أو إغفالها أو تحيتها أو إنكارها ؟ لقد أظهرت الدراسة أن ملامح ومعالم علم نفس الطفل وعلم نفس النمو قد تأسست في التراث العربي الإسلامي في القرن التاسع والعاشر الميلاديين بفارق عشرة قرون وهي المسافة الفاصلة بين تاريخين مهمين في تاريخ علم نفس الطفل: علم نفس الطفل في التراث العربي الإسلامي وعلم نفس الطفل في الغرب . إذا تحرينا الدقة في قراءة التراث العربي الإسلامي بوسعنا القول بأمان إن رواد علم نفس الطفل لم يكونوا "براين" و "بائير" و"هافجهيرست" و"بياجيه" و"اركسون" و"هارلوا" و"كوليرج" إنما هم ابن الجزار والبلدي وابن ماسويه والقرطبي والرازي والطبري والبغدادي.

لقد أشار بعض علماء النفس العرب إلى بعض الجوانب النفسية البسيطة جدا والخاصة بالطفل في التراث العربي الإسلامي، بينما لم يشر البعض لأي إسهام (الحوراني والعنزي، 1997؛ الجسماني، 1994؛ السيد، 1975؛ صادق وأبو حطب، 1988). أولا، يؤرخ السيد (1975) عن النشأة والتطور الفلسفي لعلم نفس النمو مقتبسا "نشأ علم النمو النفسي في أحضان التأملات الدينية والفلسفية القديمة". وعرض السيد محاولة إخناتون في تصور حياة الجنين في تطورها الذي يسبق ميلاد الطفل "يا خالق الجرثومة في المرأة. يا خالق البذرة في الرجل. يا واهب الحياة للجنين في بطن أمه. منحته الطمأنينة حتى يظل حيا حين يولد ". ويشير السيد إلى أن الفلاسفة اليونان كانوا يعتقدون أن الحياة تنشأ من مادة ذات شكل خاص ثم تتطور هذه المادة حتى تصبح كائنا حيا، وهذه هي نظرية التكوين الحادث، ثم تغيرت هذه الفكرة في القرن السابع عشر إلى نظرية التكوين الأزلي التي تقرر أن تكوين الحيوان المنوي الذكري لا يفترق في جوهره عن تكون الإنسان.

واقتبس السيد قول "أرسطو" الذي ذهب إلى أن الحياة " صفة للموجود، بها يتغذى، وينمو، وينقص، بنفسه". وأشار السيد إلى تلميح الكتب السماوية إلى نشأة الإنسان وتطور حياة الجنين ووصف القرآن الكريم لمراحل النمو. ويذكر السيد: "ولقد فطن العرب إلى مراحل النوم، وهدتهم سليقتهم إلى تتبع مظاهره ". ولقد اقتبس قول النيسابوري في فقه اللغة عن التعاريف المختلفة للطفولة. ويذكر السيد أن الملاحظات الفلسفية اتخذت بعد ذلك جهة تطبيقية تربوية فاهتمت بوظيفة البيت والمدرسة والمجتمع في تنشئة الطفل. ومن الباحثين الذين قدموا مساهمة في هذه الملاحظات "جون لوك" في القرن السابع عشر، و"جان جاك روسو" في القرن الثامن عشر، و"جون ديوي" في القرن العشرين.

يلاحظ أن السيد قام بمجهود في تتبع المساهمات المختلفة في نشأة وتطور علم النمو النفسي كما يحب أن يطلق عليه. ويفهم من قول السيد بأن هناك أربع مراحل أساسية لهذا النمو: المرحلة الفرعونية، والمرحلة اليونانية، ومرحلة الثورة العلمية، ومرحلة القرن العشرين. ولقد أشار السيد بصورة غير مباشرة للتراث السيكولوجي العربي الإسلامي من خلال اللغة وليس من خلال الكتب العلمية الطبية. وعموما إن اختصار السيد

لدور العرب في علم نفس النمو من خلال تعريفات النيسابوري لمراحـل النمو هو اختصار شديد لإسهام التراث العربي الإسلامي. فالنيسابوري لم يكتب مؤلفا عن الأطفال كما فعل بعض العلماء العـرب والمسـلمين. إن الكيفية التي أرخ بها السيد لعلم نفس النمو تؤكد الفجوة الموجودة في تاريخ علم النفس والتي تنفي أو تنكر أو تتجاهل أو تختصر مساهمة العلم العربي الإسلامي.

ثانيا: لقد تناول الجسماني (1994) بعض الآيات الكريمة التي تتعلـق بمفهوم التكوين بشطريه النفسي والجسمي وهو ما يصطلح عليه في علـم النفس الحديث "بعلم النفس التكويني" أو سيكولوجية الطفولـة والمراهقـة بمراحلها المتعاقبة. ويقول الجسماني وهاهو الغزالي وهـو الـذي أحلتـه بصيرته النفاذة قمة التفلسف ومكنته من زمام الفلسفة بين فلاسفة المسلمين، يجهد نفسه في إرساء قواعد الأخلاق وتوطيد دعائم التنشئة عند الأطفـال. فهو يري أن الصبي أمانة والديه، وقلبه الطاهر جـوهرة نفيسـة سـاذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش ومائل إلى كل مـا يقـال ... ". ويماثل رأي الغزالي السالف، كما يقول الجسماني، ما أوصى بـه هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي حينما اتخذه مؤدبا لولده، قال: "إن أول ما أمرك به أن تأخذ بكتاب الله، وتقرئه في كل يوم عشرا، يحفظه حفـظ رجل يريد التكسب به، ثم روه من الشعر أحسنه... ثم أجلسه كـل يـوم للناس ليتذكره ولا تكرهه على علم فيمله، و لا تدعه فيهجره ولا تخرجـه من علم إلى علم حتى يحكمه، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم".

وذكر الجسماني تأكيد الغزالي على ضرورة التنشئة المثلى التي أحلته مكانة مرموقة بين المربين المسلمين ففـي رسـالته "أيهـا الولـد" مـن الإرشادات والنصائح ما يتمشى وأحـدث النظريـات التربويـة. ويقـول الجسماني: "إن ما أشير إليه آنفا يتفق وأحدث الاتجاهات في علم النفس في الوقت الحاضر". صحيح جدا أن الجسماني مقارنة بالسيد قد قـدم بعـض الإشارات لإسهام العلماء العرب فيما يسميه "علم النفس التكـويني". فـي تقديري، لقد اختزل الجسماني كذلك دور التـراث السـيكولوجي العربـي الإسلامي في سيكولوجية الطفولة في مساهمة الغزالي ووصية هشام بـن عبد الملك لسليمان الكلبي. ويعتبر هذا الاختزال مخلا بالنسـبة لجوانـب أخرى حية من العلم العربي الإسلامي ولها علاقة أقوى بعلم نفس الطفـل وعلم نفس النمو.

ثالثا: يؤرخ الحوراني والعنزي (1997) أن القراءة السريعة لكتب علم النفس النمائي القديمة تبين كيف تغيرت صورة الإنسان عبر التاريخ، عن الطفولة ونمو الشخصية. لقد مر وقت نظر فيه الإنسان إلى الطفـل مـن الناحية البيولوجية على أنه راشد صغير. إلا أنه لا يملك سـوى معـارف قليلة وخبرات محدودة. ويضيف الكاتبان وكان بسـتالونزي مـن الـرواد الأوائل الذين كتبوا مذكراتهم عن حياة الأطفال. حيث كتـب عـام 1774 سيرة حياة طفله البالغ من العمر ثلاث سنوات ونصفا، لتكون أول ما نشر عن تراجم الأطفال. جاء بعد ذلك تيدمان ونشر سنة 1787 توصيفا دقيقـا لمظاهر نمو طفله فردريك في السنوات الأولى من حياته، تابع فيه النمـو الجسمي والحركي واللغوي والعقلي لطفله خلال السنتين والنصف الأولـى من حياته. وفي سنة 1826 نشر فروبل كتابا بعنوان "تربية الإنسان" ضمنه خواطره حول كيفية رعاية الطفل والاهتمام به فـي مرحلتـي الحضـانة ورياض الأطفال بصورة أساسية.

بوسعنا التساؤل ماذا يقصد الحوراني والعنزي بكتـب "علـم الـنفس النمائي القديمة" التي تبين كيفية تغير صورة الإنسان عبر التـاريخ؟ هـل يعنيان الكتب الإغريقية وما هي؟ أم العربية الإسلامية وما هي؟ أم كتـب عصر النهضة الأوربية وما هي؟ هل صحيح أن بستالونزي من "الـرواد الأوائل" الذين كتبوا عن الأطفال؟ ألم يكن هناك رواد قبله؟ وهـل يـؤرخ للعام 1774 بداية الاهتمام بدراسة الأطفال؟ وهل تيدمان هو الرائد الثاني لعلم نفس الطفل من خلال متابعة جوانب النمو المختلفة؟ وفروبل الرائـد الثالث على ما يفهم من التسلسل التاريخي في تأريخ "علم النفس النمائي"؟ وهل لم تنشر كتب عن تربية الأطفال ما قبل تيدمان؟ إن الكيفية التي أرخ بها الحوراني والعنزي لعلم نفس الطفل تتجاهـل أي إسـهام للحضـارة العربية الإسلامية في علم نفس الطفل، وذلك لأن بداية هـذا العلـم فـي نظرهما هي في القرن الثامن عشر للميلاد. وهـي ذات الرؤيـة بالنسـبة لعلماء النفس في الغرب الذين كتبوا عن تاريخ علم نفس الطفل.

رابعا: يذكر صادق وأبو حطب (1988) أن لمفاهيم النمـو الإنسـاني ماضيا طويلا يمتد بأصوله إلى التصور الديني والتأمل الفلسفي والخبـرة الشخصية للإنسان. أما الدراسة المنظمة لهذا الموضوع والتي تعتمد فـي جوهرها على الأسلوب العلمي في البحث القائم على الملاحظة فلها تاريخ قصير لا يتجاوز المائة عام". وقد عرض الباحثـان المنظـور اليونـاني والمنظور الإسلامي للنمو ووضحا كيف أثر المنظور اليوناني في تطـور مفاهيم الحضارة الغربية عن الطبيعة البشرية ونمو الإنسان، ثم كيف يمكن للمنظور الإسلامي أن يوجه بحوث النمو في العالمين العربي والإسلامي. ولقد عرض الباحثان آيات القرآن الكريم المتصلة بالنمو والأحاديث النبوية الشريفة التي أشارت إلى العوامل المؤثرة في النمو. ويذكر الباحثان: " أننا لا نكاد نجد إلا إشارات متفرقة إلى موضوع النمو الإنساني" فـي تـراث علماء المسلمين. ولقد عرض الباحثان تقسيم إخوان الصفا للنمو إلى أربع طبقات. كما أشارا إلى فكرة الكندي وابن سينا والفارابي والغزالي وابـن طفيل عن النمو.

لقد قدم صادق وأبو حطب (1988) محاولة لتحديد أصول علـم نفـس النمو ولكن هذه المحاولة ربما تحتاج إلى مراجعة. فقد ذكر الباحثان مـثلا أن الدراسة المنظمة للنمو لها " تاريخ قصير لا يتجاوز المائة عام" ولكـن في حقيقة الأمر لقد قدم بعض علماء التراث العربي الإسـلامي دراسـة منظمة للنمو لها "تاريخ طويل تجاوز الألف سـنة". وقـول البـاحثين إن المنظور اليوناني أثر في تطور مفاهيم الحضارة الغربيـة عـن الطبيعـة البشرية قول صحيح ولكنه غير مكتمل. ونعني بـذلك أن العلـم العربـي الإسلامي أثر كذلك في مفاهيم الحضارة الغربية عن الطبيعـة البشـرية. فأول الكتابات الغربية عن الأطفال تأثرت تأثرا كبيرا بـالتراث العربـي الإسلامي خاصة رسالة الرازي في أمراض الأطفال. وقول الباحثين "إننا لا نكاد نجد إلا إشارات متفرقة إلى موضوع النمو الإنساني" فـي تـراث علماء المسلمين قول غير صحيح. وإشارة البـاحثين إلـى آراء الكنـدي والفارابي والغزالي وابن طفيل وحتى ابن سينا باعتبارها أكثر المساهمات ذكرا في التراث الإسلامي هي إشارة غير دقيقة. فهناك مساهمات أكثـر نضجا من مساهمة هؤلاء وحتى ابن سينا نفسه قد نقـل عـنهم. وسـوف نتحقق من ذلك لاحقا.

تاريخ علم نفس الطفل عند علماء النفس في الغرب

يتفق مؤرخو علم النفس في الغرب على أن بداية علم نفـس الطفـل كانت في القرن التاسع عشر الميلادي، وأحرز تقدمه في القرن العشـرين (بورنج، 1957، فلوجل، 1988، روكلن، 1983). ويعتبر "داروين" وفقـا لتاريخ فلوجل (1988)، من الذين قدموا مساهمة كبيرة في تطـور علـم نفس الطفل من خلال مؤلفه "موجز تاريخ حياة الطفل"، الذي عرض فيـه ملاحظات تفصيلية دقيقة عن سلوك الأطفال الصغار ونموهم، وبعـد مـا يقرب من أربع سنوات ظهرت دراسة أكثر طموحا من نفس النـوع بقلـم "برايير" الذي لاحظ نمو الأفعال المنعكسة منذ الميلاد، والتعقيدات التدريجية التي تلت ذلك نتيجة للخبرة والتعلم وخاصة بتأثير التقليد. إن كتاب "عقـل الطفل" لبرايير هو أحد الكتب الكلاسيكية في علم نفس الطفل.

ولقد أسس "ستانلي هول" أول مجلة متخصصة في الموضوع وهي

"المناقشات التربوية"، بينما أسس "سولي" في بريطانيا "الجمعية البريطانيـة لدراسة الأطفال" عام 1893 وقد أدت كل من المجلة والجمعية دورا مهمـا في تطوير التربية الجديدة. وشهد عام 1893 أيضا ظهور دراسـة هامـة لتطور الفرد، وهي كتاب شين "مذكرات عن تطور الطفل". ومن الكتـب الأخرى التي كان لها تأثير كبير كتاب سولي "دراسات في الطفولة" عـام 1895. وفي عام 1896 اتخذ "ويتمر" خطوة عملية مهمـة بتأسـيس أول عيادة نفسية للأطفال غير المتوافقين في فيلادلفيا. ويعتقد "ستانلي هول" أن الطفل في لعبه يمر في سلسلة من المراحل تقابـل المراحـل الحضـارية للمجتمع الإنساني. بينما بين "جروس" أن طبيعة اللعب هي الإعداد لأوجه النشاط المستقبلة للفرد البالغ. لقد تأثرت كل هذه الأعمال الخاصـة بعلـم نفس الطفل بوجهة النظر التطورية وتأكيد الجانب المشترك فـي تطـور الفرد والنوع (فلوجل، 1988).

حسب رؤية بورنج (1957) مؤرخ علم النفس الغربي الأكثر شهرة بأن ورقة "هول" عام 1883 عن "محتوى عقول الأطفال" جعلته من رواد علـم نفس الطفل . وفي بوسطن قدم "هول" منهج الاستبيان لاكتشاف محتـوى تفكير الأطفال . ولقد أخذ الفكرة من ألمانيا عندما سمع عن نتائج المسـح الذي طبق في مدارس برلين الأولية، والذي اشتمل على معرفة الأطفـال للأشياء العامة والأماكن. وعندما تم تطبيق المنهج في بوسـطن توصـل "هول" لمعلومات هامة. ولقد وجد أن 80% من الأطفال في عمـر سـت سنوات كانوا يعرفون أن اللبن من الأبقار بينما 6% فقط يعرفون أن الجلد من الحيوانات. قبل عام 1880 لم تكن هناك أبحاث منظمـة عـن حيـاة الأطفال. لكن قام "بوديتش" عام 1879 بدراسـة عـن بعـض القياسـات الجسمية لأطفال مدرسة بوسطن من عمر خمس إلى ثماني عشرة سـنة. وقام عالم الإنسان "فرانز بوس" بمواصلة هذه الدراسة.

ولكن يبقى "هول" هو الرائد لعلم نفس الطفل. وفي عـام 1890 قـام "هول" بإنشاء شعبة البيداجوجيا في جامعة كلارك كما عمل كـذلك علـى تطوير منهج الاستبيان. ولقد تم استخدام نفس المنهج من قبل في جامعـة برستول بإنجلترا منذ عام 1838 لجمـع المعلومـات عـن الإضـرابات ومؤخرا تم استخدامه في مجالات إحصائية أخري. لقد استخدم "جـالتون" كذلك منهج الاستبيان في دراساته المبكرة عام 1883 ولكن "هول" حـول استخدامه لدراسة الطفولة. في الفترة ما بين العـامين 1894- 1903 قـام "هول" وزملاؤه في جامعة كلارك بتصميم 102 استبيان. وتتباين مواضيع هذه الاستبيانات من الغضب، والألعاب، والبكاء، والضحك، والإحسـاس المبكر بالذات، ومخاوف الطفولة، وخبرات الأطفال الأخلاقيـة والدينيـة ودعاء الأطفال (بورنج، 1957).

تعود الدراسات المنهجية الأولى حول نمو الأجنة إلى القـرن الثـامن عشر، ولقد قرر "بائير" في كتابه " في تاريخ تطور الحيوان"عام 1828 أن التطور الفردي عند جميع الحيوانات الفقارية واحد في خطوطه الكبـرى. وكانت مؤلفات "سبنسر"، و"داروين"، "وهيكيل" عن علم نفس الطفـل قـد صدرت فيما بين عامي 1855 و1870 للميلاد. ولقد نشر "تيـدمان" عـام 1871 ملاحظات منظمة عن ولده. وفـي عـام 1876 نشـرت "المجلـة الفلسفية" مقال تين "عن اكتساب اللغة عند الأولاد وفي الجنس البشـري". ولقد ظهرت في الولايات المتحدة في مجلة "العلم" الملاحظات التي دونها "بالدوين" فس عام 1890. وفي فرنسا ظهرت في "المجلة الفلسفية" أولـى ملاحظات "بينيه" عن ابنتيه. ثم نشر، في سنة 1895 "بالدوين" كتابه "النمو العقلي عند الطفل والعرق".

ونشر بينيه سنة 1903 "دراسة تجريبية للذكاء" وبينيه هو الذي قـام بأول محاولة لإعداد مقياس للذكاء عندما كلف من قبـل وزارة المعـارف الفرنسية بإعداد أداة لتحديد التلاميـذ بطيئـي الـتعلم. وسـجل "بياجيـه" ملاحظاته عن أولاده الثلاثة خلال عاميهم الأولين، والتي أتاحت له فرصة دراسة "ولادة الذكاء عند الطفل" عام 1936 و"بناء الواقـع عنـد الطفـل" 1937. لقد درس "بياجيه" كذلك الحكم والبرهـان عنـد الطفـل (1924)، والسببية والفيزيائية (1927)، والحكم الأخلاقي (1932)، ومفـاهيم: العـدد (1941)، والكمية (1941)، والوقت (1946)، والحركة والسـرعة (1946)، والفضاء (1948)، والصـدفة (1951) (روكلـن، 1983، ص ص. 119-127).

ومن ناحية تاريخية، لقد تأسس جزء مهم من علم نفـس الطفـل فـي الغرب في رحاب الدراسات الطبية، خاصة ذلك المرتبط بالاضـطرابات النفسية والعلاج النفسي. مثلا، يؤرخ تاتون (1988) أنه في القرن التاسـع عشر ظهر" كتاب أمراض الأطفال المولدين حديثا والرضع" لبيارد(1828) ثم "كتاب أمراض الطفولـة" (1843) "لبـارتز وريليـت" الـذي يشـمل الاستطباب في أواخر السنة الأولى حتى البلوغ. ودرست في هذه الكتـب بعض الأمراض التي لها علاقة بعلم النفس، مثلا، كانت الأورام الدماغيـة موضوع العديد من الدراسات في حين بين "أسـبين وبيكـو" أن الصـرع يختفي طويلا بشكل وجع بسيط. ودرست طبيعة وموضع ووصف مجمـل التهاب السحايا السلية ووصف سان فيليب الهستيريا الطفولية وفتح المجال إلى تحديدها وتعريفها الواضح. ويشير ذلك إلى دراسة أو تأسس جزء من علم نفس الطفل في رحاب الدراسات الطبية في الغرب.

عموما تؤكد الكتابات الغربية السابقة عن تاريخ علم نفـس الطفـل أن بداية هذا الفرع من المعرفة بصورة منظمة كان من حيـث المكـان فـي الغرب ومن حيث الزمان في القرن التاسع عشر. ولقد تأسس جـزء مـن علم نفس الطفل في رحاب الدراسات الطبية. ويمكننا في هذا الجزء مـن الدراسة وبعد العرض السابق لتاريخ علم نفس الطفل يمكننا أن نقدم بعض الملاحظات العامة لمؤرخي علم النفس في الغرب. فحسب تأريخ فلوجـل، يعتبر داروين أول المساهمين في علم نفس الطفل في كتابه "موجز تـاريخ حياة الطفل". وحسب تأريخ بورنج، أن هول هو رائد علم نفس الطفل من خلال بحثه "محتوى عقول الأطفال". ووفقا لروكلن، أن بـائير أول مـن تناول موضوع نمو الأجنة وكتب عن التطور الفردي في كتـاب "تـاريخ تطور الإنسان". وحسب تأريخ تاتون، أن بيارد أول من كتب عن "أمراض الأطفال المولدين حديثا والرضع". كما وردت عبارة "طب الأطفـال" لأول مرة عام 1865 علي يد الطبيب الفرنسي كارون.

عموما تتفق هذه الكتابات التاريخية على عدم وجود أي "بدايـة" لعلـم نفس الطفل قبل القرن التاسع عشر. ولم تتم الإشارة لأي إسهامات سـابقة في هذا الفرع للعلم من الحضارات الأخرى. في تقديرنا، إن الكيفية التـي أرخ بها بورنج وفلوجل وروكلن وتاتون لعلم نفس الطفل هي كيفية تحتاج لمراجعة من خلال قراءة التراث السيكولوجي العربي الإسـلامي. هنـاك محاولات كما يذكر مصري لبعض المستشرقين للتقليل من أهمية مساهمة العرب في العلوم أمثال "الكسبايسن" الذي كتب في تاريخ طـب الأطفـال، يقول: "إن العرب لم يتحفونا بشيء يذكر في هذا الميدان بغض النظر عن بعض الوصف الرائع لبعض الأمراض مثل الحصبة والجدري" (مصري، 1996)

وفي تقديرنا ثانية بأن الطريقة التي تعرض بها بعض علمـاء الـنفس العرب مثل الجسماني والسيد وصادق وأبو حطب لتاريخ علم نفس الطفل وعلم نفس النموهي طريقة تحتاج لمراجعة كذلك لأنهـا أغفلـت الجـزء الحيوي من علم نفس الطفل في التراث العربي الإسلامي. يبدو أنـه مـن المناسب في هذا الجزء من الدراسة أن نقدم أطروحة جديدة مضمونها أن أول تأسيس لعلم نفس الطفل وعلم نفس النمو بصورة منظمـة كـان فـي التراث العربي الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وأن رواد هذه المساهمة، خاصة، هم ابن الجزار والبلدي فضلا عن الـرازي وابن سينا والقرطبي. وهناك أهمية من التحقق من هذه الأطروحة في ضوء

قراءتنا للتراث السيكولوجي.

مصـــادر علـم نفـس الطفـل في التـــراث

يقول الأوربيون والأمريكيـون (أنظـر رزق الله ، 1983) أن طـب الأطفال لم يبرز بوصفه فنا مستقلا عن غيره من العلوم الطبيـة إلا فـي القرن التاسع عشر ميلاديا. وقد جاء في مقدمة للأستاذ "مرسال ليلون" في كتابه عن رعاية الأطفال أن هذه العبارة وردت لأول مـرة علـى لسـان الطبيب الفرنسي "كارون" سنة 1865 وهي تعني "علم تربية الأطفال تربية صحيحة". وجاء في مقدمة "نلسون" في كتابه عن طب الأطفال "من الناحية التاريخية أصبح طب الأطفال اختصاصا من الاختصاصات الطبيـة منـذ قرابة القرن وذلك لأن مشاكل الأطفال أصبحت تختلف شيئا فشـيئا عـن مشاكل الكهول، وأن أهمية هذه المشاكل تختلف حسب عمر الطفل وردود فعله إزاءها". وسوف نقدم محاولة من خلال المصـادر الطبيـة العربيـة الإسلامية تنفي وجهة النظر الأوربية والأمريكية بخصوص طب الأطفال.

عموما لقد شهد القرن الرابع الهجري تحولا جذريا في تأليف الكتـب الشاملة الخاصة بصحة الطفل ، ففي هذا القرن كان العـرب فـي قمـة عطائهم المبدع في جميع المجالات العلمية بعد أن اجتازوا مرحلة الأخـذ والتمثل من الحضارات التي سبقتهم والتي عاصرتهم (شـحادة ، 1983). وفي كتاب الحاوي تحدث الرازي عن العناية بالوليد، ومساعدة الطفل على النوم، واختلاجات الأطفال، التبول والعطاس والبكاء. وكان مؤلف الرازي "رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم" أول مؤلف عن طب الأطفـال. ويعتبر قاسم (1983) أن الرازي أول مـن فصـل بـين طـب الأطفـال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلا مستقلا بذاته في حدود سنة 900 م. وترجمت هذه الرسالة إلى العبرية، ثم ترجمت للاتينية قبل ظهور الطباعة في مدرسة جيرارد كريمونا.

وكان أول كتاب طبع عن طب الأطفـال فـي الغـرب هـو كتـاب (بيكالاردوس سنة 1472م)، والذي اعتمد اعتمادا كليا على رسالة الـرازي هذه، كما أنه من الحقائق المؤكدة بأن جميع كتاب الأطفـال مـن القـرن العاشر حتى السابع عشر ساروا بكتاباتهم على غرار النسخة اللاتينية مـن رسالة الرازي. وطبعت هذه الرسالة باللاتينية سنة 1481م لأول مرة، بعد ذلك طبعت مرات عديدة. وفي العصر الحديث ترجمـت منهـا فقـرات للألمانية والإنجليزية والإيطالية. واحتوت الرسالة على بعـض الأبـواب الخاصة بسيكولوجية الطفل مثل الباب السادس "في السهر عند الأطفـال"، والباب السابع "في الصرع عند الأطفال"، والباب الثامن " فـي المـرض المسمى أم الصبيان".

بالإضافة لمساهمة الرازي هناك مجموعة أخرى من كتـب الأطفـال المهمة والتي قدمت مساهمة أكبر في علم نفس الطفل منها، مثلا، كتـاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار القيرواني الذي حققه ونشره الهيلة (1968). وكتاب "خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين" لمؤلفه عريـب بن سعد القرطبي، ويعتبر الكتاب من الأبحاث النفسية كمـا يقـول قاسـم (1983). وكتاب " تدبير الحبالى والأطفال والصـبيان وحفـظ صـحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم" لأحمد بن محمد البلدي الذي حققه ونشره قاسم. كما خصص ابن سينا الجزء الأول من "القـانون" قسـما لتربيـة الأطفال وأمراضهم "التعليم الأول في التربية". كمـا ألـف أبـو الحسـن البغدادي أربعة فصول عن تدبير المولود في كتاب "المختارات في الطب"، ولابن القف كتاب "جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض" . فضلا عن ذلك ألف ابن قيم الجوزية كتاب "تحفة المودود بأحكام المولود".

وكتب ابن داؤود الانطاكي "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب". كما كتب علي بن عباس المجوسي "الكتاب الملكي" المعروف بكامل الصناعة الطبية . وألف احمد بن محمد الطبري "المعالجات البقراطية" الذي تحـدث فيه عن الصرع وأسبابه والكزاز وأسباب البكاء عند الأطفال . و خصص علي بن سهل الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة من كتـاب "فردوس الحكمة" لتربية الأطفال وحفظ الصحة وتربية الصبي إذا ترعرع . كما ليوحنا بن ماسويه "مقالة في الجنين" وهي أول مؤلف مستقل فـي علم الأجنة باللغة العربية . و لثابت بن قرة مقالة في صفة كون الجنين ، ولحنين بن اسحاق عدة مؤلفات عن الأطفال منها: "كتـاب المولـودين" ، و"المولود لسبعه أشهر" ، و"مقالة في كون الجنين".

ابـن الجـزار القيروانـــي وعلم نفـس الطفـــل

سوف نحاول في هذا الجزء من الدراسة تناول مساهمة ابن الجـزار القيرواني بشيء من التفصيل باعتبارها من أنضج المساهمات التي يمكـن من خلالها قراءة ملامح علم نفس الطفل في التراث العربي الإسلامي. ولد ابن الجزار بالقيروان في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع المـيلادي). وتوفي عن عمر يناهز الثمانين سنة. ويعرف ابن الجزار عند الأوربيـين باسم "الجايزر". وهو من عائلة وثيقة الصلة بالطب كان أبوه طبيبا وكـان عمه كذلك. نال ابن الجزار عن أستاذه اسحاق الإسرائيلي علما كثيرا ثـم فتح داره لمداواة المرضي، وجعل في سقيفتها صيدلية. واتفق المترجمون لابن الجزار على أنه كان حاذقا من أهل الحفظ والتطلع والدراسة للطـب ولسائر العلوم، حسن الفهم لها مع ذكاء ومهارة. ولقد كرس ابن الجـزار كل حياته للجد والاجتهاد والعمل، وخاصة أنه كان يطبب ويداوي النـاس، عامة الناس، إذ لم يكن من محبي ارتيـاد البلاطـات، والوقـوف علـى الأعتاب، والاستوزار لذا غلب على كتاباته روح الطبيب العملي الممارس، ويتبدى هذا في وصفاته وطرق معالجة الأمراض. وكان من عـادة ابـن الجزار أن يكرر قوله بعد بعض هذه الوصفات: "ولقد جربنـاه فحمـدناه" (قطاية ، 1983).

ويذكر ابن أبي اصيبعة سبعة وعشرين مؤلفا لابن الجزار. ومن كتبه الموجودة: المعتمد في الأدوية المفردة، منه مخطوطة بأياصوفيا ونسـخة بالجزائر. وترجم إلى اللاتينية والعبرية ومنه مخطوطة بميـونخ. كتـاب الخواص ومنه نسخة باللاتينية، ورسالة في إبدال الأدوية منه مخطوطـة بدار الكتب المصرية ونسخة ببرلين وثالثة بالاسكوريال. من أهـم كتبـه: كتاب زاد المسافر وقوت الحاضر وله نسخ بالرباط و طهـران وتركيـا، وترجم الكتاب إلى اليونانية واللاتينية والعبرية. وكتاب طب الفقراء منـه نسخة بباريس. وكتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم منه نسخة بدار الكتب المصرية. وكتاب في الكلى والمثانة منه نسـخة بأكسـفورد ولقـد ذكـر الترجمة اللاتينية والعبرية بركلمان. كتاب في المعدة وأمراضها ومداواتها منه نسخة بالاسكوريال ونسخة بالظاهرية ونسخة ببغداد.

ومن مؤلفات ابن الجزار النفسية التي ذكرها ابن أبي أصيبعة رسـالة فلسفية تتناول موضوع النفس واختلاف الأوائل فيها، ذكرت في طبقـات الأمم ومعجم الأدباء ورسالة في علم النفس ذكرت في هديـة العـارفين. ورسالة في النوم واليقظة، ذكرت في الوافي بالوفيـات وعيـون الأنبـاء وكشف الظنون وسلم الوصول وهدية العارفين. وكتاب في الملنخوليا منـه نسخة مع كتاب في الكلى والمثاني باكسفورد. وكتاب الفرق بين العلل التي تشتبه أسبابها وتختلف أعراضها، ذكر في عيون الأنباء وكشف الظنـون وسلم الوصول وهدية العارفين. وكتاب مداواة النسـيان وطـرق تقويـة الذاكرة. أما أهم كتبه على الإطلاق والتي لها علاقة بعلم نفس الطفل فهـو كتاب "سياسة الصـبيان وتـدبيرهم" و منـه نسـخة بالبندقيـة ونسـخة بالأسكوريال.

يعتبر كتاب ابن الجزار "سياسة الصبيان وتدبيرهم" الذي حققه الهيلـة (1968) من أهم الكتابات عن الطفل في التراث العربي الإسلامي. ويقع الكتاب

في 25 ورقة بخط نسخي جميل وبكل صفحة 17 سـطرا. وبـالمخطوط نقص يشمل نهاية الباب العشرين وكامل الباب الواحد والعشـرين وبدايـة الباب الثاني والعشرين. يقول ابن الجزار في صدر كتابه موضحا أهـداف مشروعه الطبي وأهميته والذي من خلاله يمكننا دراسة سيكولوجيا الطفل: " إن معرفة سياسة الصبيان وتدبيرهم باب عظيم الخطر، جليـل القـدر". ويشير ابن الجزار إلى عدم وجود مساهمات سابقة مجموعة عن الأطفال، ولذا حاول هو القيام بعملية جمع الأشتات في مؤلف واحد إذ يقول: " ولـم أر لأحد من الأوائل المتقدمين المرضيين في ذلك كتابا كاملا شـافيا، بـل رأيت ما يحتاج من علمه ومعرفته من ذلك متفرقا في كتب شتى وأمـاكن مختلفة مما جعل بعض الناس قد عرف بعضـه وجهـل بعضـه، ولعـل بعضهم قد عرف ذلك كله ولم يعرفه من أسهل طرقـه، وأقصـد سـبله، وأقرب مآخذه. فلما كان الأمر في ذلك على ما وصفنا، رأيـت أن أجمـع المتفرق من ذلك في الكتب الكثيرة، وألفت بعضه إلى بعـض فـي هـذا الكتاب كالذي يؤلف من الجوهر إكليلا بهيا. وينظم منـه عقـدا حسـنا، وأضمنه جميع ما علمت".

لقد عالج ابن الجزار مرض الصرع بصورة مفصلة موضحا تعريفـه وأسبابه وأعراضه وكيفية علاجة وسوف نعالج ذلك في الجـزء الخـاص بسيكولوجيا الصرع. كما عالج كذلك داء السهر العارض للصبيان إذ يقول إنه معلوم مفهوم أن الأمر الطبيعي في الصبيان هو كثرة النوم ، وقد ذكر أبقراط أنه يعرض للصبيان في الدرجة الأولى من أسنانهم سهر دائم ، بعد ذلك مرض ، وإنما يعرض لهم من أجل رطوبة اللـبن . وقـد يعـرض للصبيان التفزع في النوم وخاصة إذا كانت المعدة منه ضعيفة أو حساسـة بالطبع ثم فسد الطعام في معدته. وعموما عالج الموضـوع مـن زاويـة سيكولوجية وبيولوجية.

لقد كان ابن الجزار في محاولة جمعه لطب الأطفال أمينا في قراءتـه وهضمه للتراث السابق خاصة مساهمة جالين، إذ يقـول: إن "جـالينوس قاله في ذلك وأضيف إلى ما أجمع من الكتب مبوبا. وجملة أبوابه اثنـان وعشرون بابا. وإنما جعلته كذلك ليسهل درسه على قارئه ويعرف حفظـه على راويه. وأكملت فيه أحد حدود صناعة الطب الذي هو حفظ الصحة على الأبدان الصحيحة ودفع المرض عن الأبدان السقيمة، وذلك أنّا ذكرنا ما نحفظ به الصبيان على صحتهم الطبيعية وحسن العناية بهـم وجـودة التدبير لجسم المرضعة، ليصلح اللبن ويجود هضمه في أبدانهم، ثم فقّرت ذلك بذكر الأعراض التي تعرض للصبيان من وقـت ولادهـم إلـى أن يحتلموا وطريق المداواة لهم على سبل الجلبة للبرء". وينهي ابن الجـزار كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم بقوله المختصر المفيـد: " ولـولا حـب الاختصار، وترك الإكثار، لأتينا الطريق إلى النهاية، ولكنه فيمـا ذكرنـاه كفاية لمن فهم عنا المعنى والمراد في كلامنا، وقد أتممنا كتابنا، وبلغنا فيه مرادنا، والله المستعان المعين، لا رب غيره".

يحتوي كتاب سياسة الصبيان لابن الجزار على اثنين وعشرين بابـا. لقد تحدث ابن الجزار في الأبواب الستة الأولى عن حفظ صـحة الطفـل وتدبيره عند الولادة مع شروط المرضعة وأنواع اللبن وطرق تحسينه، ثم انتقل إلى الأمراض التي تعرض للصبيان، فتناول فيها موضوع مـداواتها على ترتيب أعضاء الجسم من الرأس إلى أسفل، من الباب السـابع إلـى الواحد والعشرين وذلك حسب طريقة الكنانيش المشـهورة فـي التـراث العربي الإسلامي. وتحدث ابن الجزار عن سيكولوجيا طبـاع الصـبيان وتربيتهم في الباب الثاني والعشرين. وعموما اعتمد ابن الجزار أسـلوب التبويب العلمي والمنهجي مبتدئا بخروج الطفل وقطع سـرته وذلـك أول شيء يحدث بعد الميلاد. يقول ابن الجزار: " إنه ينبغي أن نبتدئ تـدبيره عند خروجه فيقطع من سرته أربع أصابع ويملح تمليحا معتدلا ليكون بذلك جلده صلبا قويا ". ثم تناول غذاء الطفل وكيفية غسيله ولباسه.

واعتمد ابن الجزار في كتاب سياسة الصبيان وتـدبيرهم علـى عـدة مصادر منها فصول "أبقراط"، كتاب السياسة ل"جالينوس"، مقالة "بولـوس" في تدبير الأصحاء "لجالينوس"، كتاب الأدوية المبسوطة "لجالينوس"، كتاب الصنعة الطبية لجالينوس. ولقد نقل ابن الجزار أربع مرات عن يحيى بـن ماسويه ولعل ذلك من كتاب الكمال والتمام. ونقل عن إسحاق أربع مرات والمظنون أنه يقصد إسحاق بن ماسويه، ونقل عن "ساموس" وهـو مـن الأطباء القدماء، ونقل كذلك عن الفيلسوف "ابوواس". ويقول الهيلة (1968) يبدو أن هذا الكتاب هو أول تأليف في طب الأطفال لأن ابن الجزار يشير في خطبته إلى أنه لم ير للسابقين كتابا تخصص للحـديث عـن سياسـة الصبيان. و أكثر محتوياته تناولها ابن سينا في كتاب القانون الذي عرض هذه الموضوعات في نظام وأسلوب مشابهين لنظام وأسلوب ابن الجـزار. ولا يستبعد أن يكون ابن سينا قد اطلع على الكتاب ونقل عنه هناك بعـض الجمل التي هي نقل حرفي لما في كتاب الصبيان.

وتبرز أهمية كتاب ابن الجزار (رزق الله، 1983) في صبغته العلمية أكثر منها التربوية، فقد وصف المؤلف العناية بالطفل حديث الولادة، كمـا وصف عددا لا بأس به من الأمراض التي يتعرض لها الصبيان وقد فعـل ذلك بعمق الفاحص ودقة الملاحظة وهو لا يختلف كثيرا عما يوجد اليـوم في ميدان الطب السريري. وقد عرف تعريفا دقيقـا بعـض الأمـراض ووصفها وصفا دقيقا كذلك، من حيث أعراضها وعلاماتها، متوخيـا فـي ذلك المنهج العلمي المتبع حديثا في تشخيص الأمراض بالسؤال عن حالـة المريض الحاضرة والسابقة، ثم الفحص باستعمال النظر واللمس والسـمع وكذلك فحص البراز والقيء وغير ذلك من الفحوص التكميليـة للفحـص الإكلينيكي.

البلـدي وعلـم نفـس الطفـل الاكلينيكـي

إن المساهمة الثانية والأكثر تفصيلا في طب الأطفال الـذي يحتـوى على بعض جوانب علم نفس الطفل، خاصة الإكلينيكي منه فـي التـراث العربي الإسلامي هي مساهمة البلدي في كتابه "تدبير الحبالى والصـبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم " الذي حققه قاسم (1983). يقول ابن أبي اصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء إن أحمـد بـن محمد البلدي هو الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيي من مدينة بلد، وكان خبيرا بصناعة الطب حسن العلاج والمداواة، وكان من أجل تلامـذة أحمد بن أبي الأشعث لازمه مدة سنتين واستقل عليه وتميز.

وفيما يخص علم نفس الطفل، احتوت المقالة الثالثة من كتاب البلـدي تدبير الحبالى والأطفال والصبيان على مجموعة أحد عشر مـن الأبـواب الخاصة بالاضطرابات النفسية مثل: (1) باب في الورم العـارض لـدماغ الطفل ومداواته، (2) باب في السهر العارض للصبيان ومداواته، (3) باب في التفزع العارض للصبيان، (4) باب في التشنج وأنواعه الكلية وأسـبابه الفاعلة، (5) باب في الصداع العارض للأطفال، (6) بـاب فـي عـلاج الصداع الحادث للصبيان، (7) باب في إثبات ما ذكر ديسقوريدس في كتابه في الحشائش أنه ينفع من الصرع بخاصيته، (8) باب في إثبات ما وجدناه فاستخرجناه من كتب جماعة من القدماء مما ينفع بخاصيته من الصـرع، (9)باب في التشنج الذي يكون من الامـتلاء والرطوبـة فـي الصـبيان ومداواته، (10) باب في التشنج الحادث بالأطفال والصـبيان، (11) بـاب فيمن يبول في الفراش وعلاج ذلك.

لقد ذكر البلدي في أبواب كتابه عددا من الاضطرابات النفسية مثـل التشنج و أنواعه والاسترخاء والتمدد والكزاز(جمود العصب). مثلا، يقول البلدي في الباب التاسع في التشنج وأسبابه الفاعلة: " التشنج يعرض عند الامتلاء وكثرة الخلط وعن اليبس وعن الاستفزاع وهو مما يعرض عـن أمراض الدماغ والأعصاب والعضل" . ويفصل البلدي عن أنواع التشنج:

" فما كان منه عن مرض الدماغ نفسه وامتلائه كان عنه السكتة وما كـان منه عن مرض مبادئ العصب المنابتة من الدماغ وامتلائهـا كـان عنـه الصرع ". ويحدد أصلا فسيولوجية للتشنج: " و ما كان منه عـن امـتلاء بعض الأعصاب لا كلها حدث عنه تشنج واسترخاء في ذلك العضو الذي تحركه تلك العصبة دون غيره من الأعضاء كالشفة أو العين إن كان مـن العصب المحرك وحده وإن كان من عصب الحس والحركة معا حدث عنه التشنج والاسترخاء مع بطلان الحس وضعفه بحسب قوة الامتلاء أو كثرته وضعفه في ذلك العضو".

تناول البلدي في الباب العاشر اضطراب الكـزاز فـذكر مـا قالـه "جالينوس". ونقل ما حكاه فولس عن "باليس" في الكزاز (هو تشـنج مـن جهتين متقابلتين يبقى بينهما العضو منتصبا)، "إني أريد أن أذكر في هـذا الباب شيئا مما قاله جالينوس في الكزاز وما حكاه "فولس" عـن "بـاليس" وإنما أفعل ذلك من أجل الكزاز، قد ذكر من أمراض الصبيان لتعلم حقيقته وكذلك التمدد والتشنج ما كل واحد منها فيما يشترك ويختلف فأقول إني قد ذكرت من ذلك في الباب المتقدم ما فيه بلاغ وتقنيع لأهل الفضل والدراية فأقول إن "جالينوس" يحد الكزاز في كتابه في الحدود بما هذا لفظه.

وفصل البلدي مفهوم الكزاز وفقا لما ذكره جالينوس: " الكزاز جمـود عصب البدن كله وعضلاته". وحدد مكان الاضطراب: "وقد يمكن أن يحد بحد آخر فيقال أن ذلك امتداد العنق حتى لا يقدر صاحبها أن يميل عنقـه إلى أسفل ولا إلى فوق". وقول فولس: "الكزاز ما يكون من جماد عضلات الجسد سيما التي في الفقار من كيموس (الدم المستحيل عن الغذاء) بـارد مجتمع من داخل أو من خارج ". ويقول البلدي في الباب الحـادي عشـر الخاص بالسكتة العارضة للصبيان ومداواتها: "ذكر "فولس" فيما ألفه فـي تدبير الصبيان وتربيتهم أن السكتة تعرض لهم والسكتة كمـا قـد علمـتم تحدث عن خلط غليظ بارد بلغمي يملأ بطون الدماغ نفسه فيمتنع الـروح النفساني من النفوذ والعبور في الأعصاب والنخاع إلى جميع البدن فيبطل حس الجسم وحركته وجميع أفعاله". والسبب في حدوث السكتة في الأطفال كما عند فولس هي "رطوبة أمزجتهم وأيضا رطوبة أدمغـتهم ورطوبـة أغذيتهم ".

ومن الموضوعات الأخرى التي غطاها البلدي في الباب السابع عشر من كتابه وبصورة مفصلة موضوع التشنج: "إن ابقراط ذكر هذا الصـنف من التشنج الحادث عن امتلاء وأنه يعرض للأطفال عند قربهم من نبـات الأسنان وهذا النوع من التشنج متى عرض للأطفال بعـد الحمـى رديء مهلك كما قال "روفس" في كتابه في تربية الأطفال فهذا قوله بلفظه". ووفقا لما ذكره البلدي عن أبقراط أن: "الكزاز مكروه إذا عرض بعـد الحمـي ولمن كان من الصبيان السمان يشتد عليه نبات الأسنان ويهلك عـاجلا إن عرض له كزاز بعد الحمي هذا النوع من التشنج هو الذي يعرض للأطفال كثيرا لرطوبة أمزجتهم وأعضائهم ولينها وضـعفها وضـعف أدمغـتهم ورطوبة أغذيتهم وكثرة رضاعهم وأغذيتهم. إن هضمهم لا يفي بهضم ما ينالونه منها فما كان منه عن حمى ولا من كونه في نوائب الحمـى فهـو سليم والخوف قليل وما كان منه يعقب الحمى أو معها فقد سمعتم ما قـال روفس فيه ".

عموما كان أسلوب البلدي عند التحدث عن أمراض الأطفال ومعالجتها أن يبدأ بتعريف المرض ثم يذكر أعراضه وينتهي إلى ذكر العلاج، وفـي كل ذلك يذكر أغلب ما جاء في كتب الأقدمين مستعينا بطريقتي التجربـة والقياس فكل حقيقة عن الأمراض والعلاجات وغيرها من المواد الغذائيـة والدوائية لا يقتنع بها ولا تثبت لديه بالمشاهدة الصحيحة والتجربة منفعتها وصحتها يرفضها مبينا رأيه وسبب رفضه بروح علمية وانتقاد نزيه، وكل ما اقتنع به نقله وسجله في كتابه مشيرا إلى صاحبه خلافـا لغيـره مـن الأطباء العرب. وارتبط علاج الاضطرابات النفسية عند البلدي بمستوى عال من الأخلاق المهنية. إن المبدأ الخلقي للبلدي في إلزام نفسه بسـلوك مهني جليل تجاه مرضاه فهو يعلن تمسكه بكتمان أسرارهم لا يكشف منها شيئا في حياتهم وحتى بعد مماتهم. يقول البلـدي عنـد التحـدث عـن المصابين بالصرع "فمنهم من برأ منه براء كاملا ومـنهم مـن كـان لا يعرض له ذلك إلا في زمان طويل وعلى غير نظام في حفظ الأدوار ممن لو ذكرتهم لعرفوا لكن إكتفي عن ذكر أسمائهم رحمهم الله" (أنظر قاسـم، 1983).

وتتجلى قيمة كتاب البلدي "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان" حسـب تحليل قاسم في الأسلوب العلمي الذي اتبعه. ويمكن تلخيص هذا الأسلوب في الأسس التالية. الأساس الأول: التحصيل النظري. اللجوء إلى التحصيل النظري والاستفادة من علوم السابقين وبحوث العلماء المعاصرين في تلك العلوم، ولزوم الرجوع إلى المراجع الأصلية في النقل أمر ضروري لأي عالم يريد أن ينال نجاحا علميا في أي عمل علمي. ولم يكتف البلدي بآراء الآخرين بل عمل على اعتراض بعضها وتفنيدها ولقد أثبت خـلاف رأي "أبقراط" ووجه النقد "لجالينوس". ويرتبط الأساس الثاني للأسلوب العلمـي للبلدي بالمنهج التجريبي. رسم البلدي منهجا تجريبيا لنفسـه فـي القـرن الرابع عشر الهجري اعتمد على الاستقراء والقياس والمشاهدة أو التجربة والتمثيل. وكثيرا ما كان البلدي يردد عبارة: "وهذا مع إيجاب القياس فـإن التجربة تشهد في صحته"، "والعيان يكذبهم"، "وما أحفظ أني رأيتها"، "كمـا قد رأينا ذلك.

والأساس الثالث لأسلوب البلدي العلمي: المنهج التصنيفي. شمل ذلـك ثلاثة أمور جوهرية هي (1) تعريف الألفاظ، (2)التصنيف العلمي مثلا قسم كتابه إلى ثلاث مقالات وكل مقالة إلى أبواب (3)عـدم الإطالـة وتـرك التكرار (4)الأساس الرابع لأسلوب البلدي العلمي: الشمولية في الموضوع. يعتبر كتاب البلدي أكمل وأشمل ما كتب من قبل الأطباء العرب في هـذا الحقل وذلك: (1) لاحتوائه على مسألة العناية بالأم والولادة بجانب العناية الجسمية والنفسية والتربوية (2)لاحتوائه أمراضا لم يـذكرها غيـره مـن الأطباء العرب وغير العرب الذين سبقوه وعاصروه.ويؤكد شحادة (1983) أن كتاب البلدي جاء أوسع شمولا وأكثر تفصيلا من كتاب ابـن الجـزار، ولطالما استفاد المتأخر في التأليف والبحث العلمي من السابق له زمنيا في ذلك.

سيكولوجيـا صـرع الأطفـال عند العلمـاء العـرب

يبدو أن معالجة سيكولوجيا صرع الأطفال تجسد المسـاهمة الأكثـر أصالة في علم نفس الطفل الاكلينيكي. لقد ذكرنا سابقا بأن جزءا مهما من علم نفس الطفل، خاصة الاضطرابات النفسية، قد تأسس في رحاب الطب في الغرب وذلك في القرن التاسع عشر. ولكن فـي تقـديري كـان أول تأسيس له في التراث العربي الإسلامي من خلال المساهمات التي قـدمها ابن الجزار والبلدي والرازي الطبري والقرطبي. كما رأينا كـذلك كيفيـة تناول علماء التراث العربي الإسلامي لبعض الاضطرابات النفسية التـي تواجه الأطفال تعريفا ووصفا وعلية وتصنيفا وعلاجا. وسـوف نحـاول بصورة محددة في هذا الجزء من الدراسة أن نتناول معالجة علماء التراث النفسي لداء الصرع.

يحدد الطبري مصدر الصرع وتسميته: "إن الطفل يحدث به الصـرع من الدماغ ويسميه العامة ريح الصبيان". بينما يعرف الرازي الصرع في كتاب الحاوي ويحدد ديمومته وموقعه في الدماغ قائلا: "تشنج يعرض في جميع البدن إلا أنه ليس بدائم لأن علته تنقضي سـريعا ومـا ينـال فيـه الأعضاء التي في الرأس على جميع الجسد من المضرة يدل على أن العلة إنما هي في الدماغ". كما يحدد الرازي كذلك تصانيف وأسـباب الصـرع في رسالة أمراض الأطفال قائلا: "الصرع يحدث في طريقتين، إما أن يولد

الطفل مصابا به بسبب رطوبة وعفونة باردة في المزاج الطبيعي للـدماغ، أو أن يكون عرضيا لهؤلاء الأطفال". أما ابن سينا فقد وصـف علامـات (أعراض) الصرع السهلة (الخفيفة) منها والصعبة (الحادة) بقوله: " وعلامة الصرع السهل أن تكون الأعراض أسلم وأن يكون صاحبه يثـوب إليـه العقل بسرعة فينحدر كما يفيق... وعلامة الصعب منـه عسـر التـنفس وطول الاضطراب".

لقد عالج البلدي الصرع في الباب الثاني عشر مـن كتابـه بصـورة مفصلة بدءا بتعريفه ووصفه فسيولوجيا بأنه: "تشنج يعرض فـي مبـادئ العصب النابت من الدماغ ويكون حدوثه بغتة ويقل مكثه وينقضي سريعا". ويقتبس البلدي رأي جالينوس بأنه: "من خلط غليظ لزج بارد يسـد منافـذ العصب النابت من الدماغ". ويضيف البلدي: "الصرع نوعان منه ما يكون في الدماغ نفسه ومنه بمشاركة بعض الأعضاء كالمعـدة وغيرهـا مـن أعضاء الجسم". أما أعراض الصرع عند البلدي فيذكرها بتفاصيل دقيقـة: "والذي يخص منه الصرع من العلامات التشنج والاضطراب الذي يكـون معه الاختلاط واضطراب اليدين والرجلين وجميع الأعضاء والزبد الخارج من الفم في ذلك الوقت والزبد ورطوبة يخالطها ريح". كما أشار لعمليـة تأثر الإحساس والتذكر بالنسبة للمصروع: " وعدم الحس والذكر والحفـظ إن كانت تلك الشدة في الغاية فإن لم تكن في الغاية ووجدت الروح بعض السبيل إلى أن يجري منها في العصب شيء يسير كان مـن ذلـك خـس وحفظ خفي وذكر حركة يستغرق حركة يسيرة كالرعشة". ومـن ناحيـة نمائية، يحدد البلدي بداية الصرع في المراحل الأولى من النمو: " وأكثـر هذا العرض للصبيان وبخاصة الأطفال الصغار حين يولدون لكثرة رطوبة أدمغتهم وتضعف أعصابهم والنساء والدايات يسمون ذلك فرح الصبيان".

ولم يكتف البلدي بتعريف وتصنيف وتحديد أعراض الصـرع، إنمـا تناول كذلك موضوع تدبير أو علاج الصرع بصورة محددة مـن خـلال حليب الأم وذلك حسب وجهة نظره الخاصة. يقول البلدي: "أما تدبير مـن يصرع إذا كان رضيعا فينبغي أن يكون لبن المرضع له معتدلا فإن كـان لبنها لطيفا رقيقا جدا فيجب أن يغلظ لأن اللبن اللطيف الرقيق لا يكـاد أن يغدو غذاء حسنا وهو يرطب الأعضاء والأعصاب ويرخيهـا. وإن كـان غليظا فيجب أن يلطف لأن اللبن الغليظ يولد التشـنج بشـدة الأعصـاب ويحدث الصرع وغيره من أنواع التشنج وأفضل حالات اللبن المعتدل أن يكون أميل إلى الحار اليابس قليلا في رضاع هؤلاء".

ويحذر البلدي من العملية الجنسية مع المرضعة أثنـاء الرضـاعة: " وينبغي أن تتجنب المرضعة مباضعه الرجال فـإن الجمـاع والمباضـعة يجعلان اللبن رقيقا لطيفا متينا وربما حدث عنه الحبل متى عـرض لهـا الحبل كان حينئذ لبنها مهلكا". ويشجع البلدي المرضـعة علـى ممارسـة الرياضة كما حدد وقتها المناسب: "وينبغي أن تستخدم الرياضة وخاصـة قبل الطعام ويكون غذاؤها من بعد الرياضة فإن ذلك يولد خلطا محمودا". ويصف البلدي نوعية الطعام والشراب المناسب: "ويكـون شـرابها بـين العتيق والحديث مقدارا قليلا ليس بالكثير وقد ينفع نفعا بينـا الاسـكنجين (نبات) المتخذ بخل العنصل وينبغي أن تتجنب البقول وبخاصـة الكـرفس فإن خاصية هذه البقلة الإضرار بأصحاب الصرع وتوليده".

كما أضاف البلدي كذلك إضافات أخرى عن علاج الصرع من خلال بعض الشروب واللحوم في الباب الخامس عشر من كتابه. وفي هذا الباب يقتبس البلدي ما ذكره ديسقوريدس في كتابه فـي الحشـائش. إذ يقـول: "ويحدد في هذا الباب بعض جوانب العلاج الطبية المتعلقة بأنفحة الأرنب. ويذكر بأنها إذا شربت بخل نفعت من الصرع وإن كبد الحمام إذا شويت وأكلت نفعت من الصرع، وأن الزوائد الظـاهرة بقـرب ركـب الخيـل وحوافرها إذا دقت وسحقت وشربت بخل برأت من الصـرع". ويصـف البلدي أنوعا أخرى من العلاجات الطبية: "وانه إذا أخذ فرخ الخطاف في زيادة التمر أول ما يفرغ وشق بطنه وأخذ من الحصـى الموجـود فيهـا حصاتان إحداهما ذات لون واحد والأخرى مختلفة الألوان".

ويقدم البلدي في الباب السادس عشر من كتابه عرضـا للمسـاهمات السابقة في علاج الصرع في باب: " في إثبات ما وجدناه واستخرجناه من كتب جماعة من القدماء مما ينفع بخاصية من الصرع ". وتـرتبط هـذه العينة من العلاجات بربط أو تعليق بعض الأشياء على المصروع. وقـال الإسكندر إن علق البسد (المرجان)في عنق المصروع نفعه وقال "ثاوفرسطس" إن علق البلور في رأس أحد لم ير في منامه سوءا ولم يصرع". ووجد في كتاب اختيارات حنين أنه اتخذ شبر من جلد جبهة حمار ولبس فإنه ينفـع من الصرع. وفي كتاب "هرمس" أنه إن اتخذ خاتم من حافر في يده اليمنى ولبسه المصروع لم يصرع. وقال الياس الأنطاكي في كتاب الأحجـار أن شيئا يوجد في الذهب الأحمر الإبريز كحب الخردل إذا كان في الذهب لم يطرق ولم يعمل في هذا الحجر المبرد إن علق على إنسـان منـع مـن الصرع والفزع. وقال الطبري أن علق من شعر كلب أسود بهـيم علـى المصروع برئ وقيل في الطبيعيات للرومي إن علق رأس الفارة في خرقه على من يصرع برئ".

كما عالج ابن الجزار في كتابه داء الصرع العارض للصبيان والذي يسميه "أبلمسيا" حيث يقول: " إن داء الصرع أكثر ما يعـرض للصـبيان الصغار و لاسيما الذين أجسادهم رطبة، وقـد يسـمى خاصـة مـرض الصبيان". ويحدد ابن الجزار سببين لصرع الصبيان " أحدهما من سـوء مزاج بارد رطب يغلب على الدماغ، والآخر رداءة التدبير. والبرهان الذي يعلم به الصرع الحادث من سوء المزاج من الصرع الحادث مـن رداءة التدبير، أنه إذا كان ابتداؤه مبدأ أول الولادة، فالسبب فيـه سـوء مـزاج طبيعي غالب على الدماغ، إما بارد وإما رطب وإما بارد ورطب، فإن لم يكن ابتداؤه مبدأ أول الولادة فحدوثه إما من سوء التدبير وإما لسبب آخـر من خارج".

ويميز ابن الجزار موقفين من علاج صرع الأطفال هما حاجة بعض الأطفال للعلاج وعدم حاجة المجموعة الأخرى له يقول بالنسبة للمجموعة الأولى: " فأما الذين لا يحتاجون إليه فالذين حدث لهم هذا الداء في سـنهم الأول، وذلك أن برأهم منه يكون بانتقالهم من سـن الأطفـال إلـى سـن المراهقين لسبب ميلهم إلى المزاج الذي هو اسخن وأخف، فلذلك قلنا لهـم إنهم لا يحتاجون إلى العلاج الطبي، فلذلك يجب أن تحسـن النظـر فـي تدبيرهم ونحذر أن يعرض لهم عارض من خارج فيمرضهم". بينما يـذكر ابن الجزار بالنسبة للمجموعة الثانية " فأما الصبيان المحتاجون إلى العلاج الطبي فهم الذين يحدث لهم هذا الداء بعد ولادتهم ".

علـم نفـس النمـو: المراحل العمريـة

عندما يكتب علماء النفس العرب المعاصرون (انظر عـدس وتـوق، 1986؛ علاونة، 1994؛ اسماعيل، 1989؛ السيد، 1975) عن مراحل النمو وأنواعه مثل النمو الحركي والانفعالي والاجتمـاعي والعقلـي يرجعـون الفضل إلى علماء النفس في الغرب. مثلا، يطالع طالب علم النفس اقتراح "هافجهيرست" لعدد من المهمات النمائية للمراحل المختلفة التي يمر بهـا الإنسان وهي مرحلة الرضاعة والطفولة المبكرة (5 سـنوات)، مرحلـة الطفولة الوسطى (6-12 سنة)، مرحلة المراهقة (12-18 سـنة)، مرحلـة الرشد المبكر، مرحلة وسط العمر ومرحلة أواخر العمر. وقسم "اركسون" مراحل النمو النفسي اجتماعي إلى الطفولـة البـاكرة (0- 6 سـنوات)، الطفولة المتوسطة (6 -12سنة)، المراهقة (12- 18 سنة).

أما "بياجيه" فقد قسم مراحل النمو المعرفي إلى المرحلة الحسية- الحركية (الميلاد - سنتين)، مرحلة ما قبل العمليـات (2- 7 سـنوات)،مرحلـة العمليات الحسية (7-11 سنة). ومرحلة العمليات الشكلية (11-14 سنة).

بينما قسم "كولبيرج" مراحل النمو الخلقي إلى المستوى ما قبل التقليدي (1-10)، المستوى التقليدي (11-17)، المستوى ما بعد التقليدي (18-30). إن مساهمة "هافجهيرست" و"بياجيه" و"كولبيرج" و"اركسون" لم تكن أولى المساهمات في تاريخ علم النفس عن تقسيم مراحل النمو وتحديد أنواعه. فقد قدم بعض العلماء العرب محاولات ناضجة في تحديد ملامح ومعالم النمو بجوانبه المختلفة. والمساهمات الجديرة بالذكر هي مساهمة البلدي وابن الجزار والقرطبي وابن سينا وابن الخطيب وابن زهر والمجوسي.

لقد استخدم العلماء العرب بعض المصطلحات الخاصة بالأطفال وتبعا لذلك قد حددوا المفاهيم واستخدموا بعض التصنيفات العمرية وتبعا لذلك حددوا مراحل النمو بالنسبة للأطفال. مثلا، فالصبي وجمعه صبيان وهو دون الفتى عمرا أو الذي لم يفطم بعد. والطفل وجمعه أطفال وهو الصغير في كل شيء. والفتى وجمعه فتيان وهو الشاب الحدث. وقدم البلدي في كتابه "تدبير الحبالى والأطفال والصبيان" القول التالي: إن الأطباء والفلاسفة الأولين يريدون بقولهم جنينا ما دام الإنسان حملا في الرحم إلى حين ولادته. ويريدون بقولهم طفلا منذ ابتداء أفعاله الحيوانية والنفسية وحركات مشيه. ويريدون بقولهم صبي الإنسان منذ كونه وإلى حين بلوغه سن الشباب وذلك عند إتمام إحدى وعشرين سنة من عمره.

وتبدأ مراحل النمو بالجنين عند النيسابوري، فالوليد فالصديغ وهو الذي لم يستتم سبعة أيام من حياته لأنهم كانوا يعتقدون أن صدغه لا يشتد إلا في تمام السبعة، فالفطيم فالجحوش وذلك عندما يغلظ ويتذهب عنه ترارة الرضاع، فالدارج إذا دب ومشى فالخماسي إذا بلغ طوله خمسة أشبار ، فالمثقور إذا سقطت رواضعه ، فالمثقر إذا نبتت أسنانه بعد السقوط ، فالمترعرع الناشئ إذا كان يجاوز العشر سنين أو جاوزها، فاليانع المراهق إذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه. لقد حدد ابن هبل البغدادي الطفل بأنه من لم تقو أعضاؤه، والصبي هو الذي لم يستوف سقوط الأسنان، والمترعرع هو الذي قد استوفى سقوط الأسنان ولم يبلغ، والمراهق والغلام هو الذي قد راهق وبلغ الحلم، وإلى منتهى الوقوف وهو إلى خمس وثلاثين سنة وإلى الأربعين يسمى سن الشباب، ومن الأربعين إلى ستين سنة ويسمى سن الكهولة، وما بعد فهو سن الشيخوخة (أنظر السيد، 1975).

وبالنسبة لمراحل النمو لقد قسم ابن الجزار أسنان العمر إلى أربع: " إن الأطباء قد أبانوا في كثير من موضوعاتهم أن أسنان الصبيان تجزأ على أربعة أجزاء، منها سن الولدان عند خروجهم من الأرحام وهي الدرجة الأولى ، ثم سن الصبيان عند خروج أسنانهم من بعد سن الولدان، وهي الدرجة الثانية، ثم سن ابن سبع سنين، وهي الدرجة الثالثة، ثم سن المحتلمين في أربع عشرة سنة". لقد لخص قاسم (1983) أسنان الأطفال كما عند القرطبي إلى أربعة: (1) سن الصبا حتى 18 سنة من العمر. (2) سن الشباب حتى 35 سنة من العمر. (3) سن الكهولة حتى 60 سنة من العمر (4) سن الشيخوخة حتى أن يفنى العمر. واستخدم ابن سينا مصطلح "الأسنان" وهي مراحل النمو التي قسمها إلى أربعة أسنان أساسية وفي نفس الوقت قسم الأسنان الأساسية إلى أسنان فرعية. يقول ابن سينا "الأسنان أربعة في الجملة سن النمو ويسمى سن الحداثة وهو إلى قريب من ثلاثين سنة، ثم سن الوقوف وهو سن الشباب وهو إلى نحو من خمس وثلاثين سنة أو أربعين سنة، وسن الانحطاط مع بقاء من القوة وهو سن المتكهلين وهو إلى نحو من ستين سنة، وسن الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة وهو سن الشيوخ إلى آخر العمر".

أما بالنسبة للتقسيمات الفرعية للأسنان فقد قسم ابن سينا سن الحداثة إلى ست مراحل وهي سن الطفولة وسن الصبا وسن الترعرع ثم سن الغلامية والرهاق ثم سن الفتى . وتقسيم ابن سينا شبيه ببعض التقسيمات المعاصرة لمراحل النمو . فمثلا قسم بعض علماء النفس مراحل النمو إلى ثلاث وهي الطفولة والشباب والشيخوخة ومنهم من قسمها إلى خمس: الطفولة و الصبا والشباب و الشيخوخة والكهولة. ولقد قسم صادق وأبو حطب (1988) النمو الإنساني إلى خمس مراحل: مرحلة ما قبل الولادة، مرحلة الرضيع، مرحلة الطفولة المبكرة، مرحلة الطفولة المتأخرة، ومرحلة المراهقة. وهذا التقسيم في القرن العشرين لا يختلف في جوهره عن تصنيف العلماء العرب الأوائل.

تبدأ عملية النمو وفقا لعلم النفس الحديث من الفترة التي تتم فيها عملية الإخصاب للبويضة من جانب الحيوان المنوي. ويعبر البلدي عن هذه الحقيقة العلمية السيكولوجية الخاصة بالخلق والتكوين في كتابه إذ يقول: "وتكون الجنين وخلقته يكون إذا اجتمع مني الرجل ومني المرأة في الرحم واختلطا وامتزجا وصارا كالماء الواحد واستقرا واحتوى عليهما وانطبق فمه دونهما واختلطا واستحال بعضهما إلى بعض وصارا كالذات الواحدة والماء الفرد وأضاف كل شيء منهما إلى شبهه". وفي باب الأسس البيولوجية للسلوك يدرس طالب علم النفس أن البويضة بعد انتهاء عملية الإخصاب تستقر في الرحم. وبذلك يكون قول البلدي قريبا جدا من الصحة. وقول البلدي "أضاف كل شيء منهما إلى شبهه" قول صحيح عن انتقال الصفات الوراثية من الأبوين للأبناء. يقول عريب في خلق الجنين "وفي هذا الجزء من السن يتحرك نمو الطفل". وفي بيئة ما قبل الولادة يتحدث البلدي عن الحالة الصحية والنفسية للأم الحامل: " يكون من حال الحامل في بدنها ومزاجها وما يعرض لها من الأمراض والأعراض لأن أحوال الأجنة متصلة بأحوال الأمهات بسلامة الحبالى في أبدانهن وتمام صحتهن ".

ففي علم نفس النمو يطالع طالب علم النفس وجود بعض المراحل الحرجة في العملية النمائية خاصة مرحلة المضغة والتي تتكون فيها معظم أجزاء الجسم خاصة الجهاز العصبي. ويذكر ابن الجزار احتياجات الطفل حديث الولادة من حيث الجانب الفيزيائي والعقلي: " إن الذي يحتاج إليه من المرأة عند طلب الولد هما أمران: أحدهما من البدن والآخر من النفس، وذلك أول صلاح الولد والأساس الذي يبنى عليه تأديبه وتقريبه. فالذي من البدن، اعتدال مزاج الطفل وميسته وأن تكون المرأة خيرة صحيحة البدن. وأما الذي من النفس فصحة القريحة وقوة الذهن وتهذيب الخاطر. فهو الذي يحتاج إليه من المرأة، ذلك أنه ليس من سقم البدن وفساد القريحة عادة" . لقد ركز ابن الجزار تبعا لذلك على أهمية كل من الجانب البدني والنفسي في عملية النمو والتفاعل بينهما. ويصف ابن الجزار البيئة النفسية المناسبة للطفل الوليد، قائلا " ويتخذ للطفل عند ابتداء الأمر داية وتؤمر أن لا تزجره ولا تغمه بشيء". كما يصف نوعية الفراش الذي يوضع عليه: "وتعنى بمضجعه فتضجعه في فراش في المهد مستويا معتدلا، و لا يكون لينا جدا لئلا ينقلب أو يلتوي عنقه". فضلا عن ذلك يحدد الوضع المناسب للنوم بالنسبة للطفل: "ويجعل رأسه إذا نوم، أعلى من جميع بدنه".

جوانب النمو النفسية

لقد وضع علماء التراث العربي الإسلامي بعض الملامح والمعالم العامة لجوانب النمو الأساسية منها النمو الحركي والانفعالي والاجتماعي والعقلي . بالنسبة للنمو الحركي، مثلا، فقد حدد العلماء مراحل الحركة الرئيسة مثل الجلوس والزحف والحبو والوقوف والمشي. يقول ابن الجزار مثلا عن جلوس الطفل: " وينبغي أن يجلس الصبي على الأرض، إذا اشتد بدنه نعما، وصلبت أعضاؤه وقوي على حركة الجلوس ". ويصف ابن سينا كيفية الجلوس والزحف: "والواجب في أول ما يقعد ويزحف على الأرض أن يجعل مقعده على نطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض". بينما يذكر ابن الخطيب في "عمل من طب لمن أحب": "ويجعل مقعده على نطع (بساط من الأديم) وينحى من جهاته السكاكين والخشب والآلات ويبعد

عن المهاوي".

ويحدد عريب متطلبات مرحلة الحبو والمشي: "وكذلك إذا حان حباؤهم بالاستقلال بالمشي أعين على ذلك وعملت له دراجة من خشب على قـدر قامته تجري على فلك وهي تسمى عند العرب (الحـال) ليعتمـد عليهـا فتنهض به وتمسك عند ذلك لئلا يسقط ويتحفظ به ولا يوكل إلى نفسه عند اعتماده وقيامه فربما تعلق بحائط ومشى من تلقاء نفسه وهو يفزع ويجـد السقوط، وينبغي أن تشجعه حاضنته على ذلك ". ويضيف ابن الجزار عن النمو الحركي: " ويكلف المشي مرة بعد مرة ويقـام أولا بجنـب حـائط، ويحمل أيضا وقتا بعد وقت، ولا يدام عليه بصنف واحد من هذه الأشياء". لقد ربط علماء التراث العربي الاسلامي بين النمو الحركي واللعب. يقول ابن زهر، مثلا، في الأغذية " فإذا اشتد وقويت أعضاؤه لم يمنـع اللعـب على رفق".

ويقول البغدادي في المختارات من الطب " ويتدرج في زيادة الرياضة" . ويقول البلدي "ويلعب لعبه ويرتاض في تحركه وذهابه ومجيئه". و يذكر ابن سينا في القانون "ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئا يسـيرا ثم يطلق له اللعب الأطول ". بينما يقول المجوسي عن الاعتدال في كامـل الصناعة: " وإذا جاوز الصبي هذه السن وبلغ سبع سنين فليرتض رياضة معتدلة لا يسرف فيها". وفي علم النفس الحـديث (أنظـر حمـاد 1998) أجمعت الدراسات أن تنمية المهارات الحركية وتطورها خـلال مرحلـة الطفولة إنما تحتاج إلى التخطيط الجيد والتدرج فـي الأنشـطة المختلفـة وانتقائها بدقة، ومتابعة الطفل متابعة جيدة. وعندما كتب إسماعيل (1989) عن الطفل واللعب اعتمد اعتمادا رئيسا على المصادر الغربية مثل منـدل (1965)، "سوتسكي" و "هيوود" و"أسيت" (1974)، و"سنقر" (1973). ولـم يشر لأي مساهمة للتراث العربي الإسلامي في عمليات النمو المختلفـة أو في آرائهم في اللعب.

يؤرخ اسماعيل بأن داروين أول عالم بحث في التعبير الانفعالي عند الأطفال. ففي كتابه "التعبيرعن الانفعالات عند الإنسان والحيوان" 1872، ذكر أن الانفعال عند الوليد خاصية أولية. بعد ذلك بحوالي ربع قرن جـاء "واطسون" و"مورجان" 1917 بتعديل لوجهة نظر "داروين"، إذ افترضا أن هناك ثلاثة انفعالات أولية هي الخوف والغضب والحب. ويثير الخوف في رأي هذين العالمين- الصوت العالي المفاجئ وفقد السند، أمـا الغضـب فيظهر عندما تقيد حركة الطفل، وأما الحب فيظهـر اسـتجابة للملاطفـة (اسماعيل، 1989). وخلافا لما ذكره إسماعيل لقد أشـار علمـاء التـراث العربي الإسلامي لموضوع البكاء بوصفه تعبيرا عن الجانب الانفعالي في النمو محددين أسبابه وكيفية تدبيره. وسوف نحدد بعض الاقتباسات المعبرة عن النمو الانفعالي للطفل.

يقول ابن قيم الجوزية مفسرا سبب البكاء: "ولا ينبغي أن يشق علـى الأبوين بكاء الطفل وصراخه، و لاسيما لشربه اللبن إذا جاع، فإنه يروض أعضاءه". ويحدد الطبري أسباب البكاء " إذا بكى الطفل دائما فهو لأحـد أربعة أسباب، إما لوجع في بعض أعضائه أو لاحتباس اللبن في معدته أو لشيء يؤذيه في مضجعه أو لقلة الغذاء وجوعه". و يقول المجوسي عـن الاستجابة لبكاء الطفل من قبل المربية: "وقد ينبغي أن تتفقد الطفل إذا هـو بكى، ويبحث عما يؤذيه بالحدس والتخمين". ويحذر ابـن الجـزار مـن استمرارية نوبة البكاء: " ولا يمكن من البكاء الكثير فإنه إذا كثـر بكـاؤه عرض له أبلمسيا (داء الصرع). كما يحدد ابن الجزار بعـض التقنيـات المناسبة التي بواسطتها يمكن تخفيف نوبة البكاء: "فيجب أن يسكت كمـا ذكرنا بدءا وبكل شيء يعلم أنه يلهيه به ويحول بينه وبين البكاء، مثـل أن يحمل على الأيدي حملا رفيقا لينا، ويحرك كذلك ويرفـع لـه بالوحـان (ألعاب) وأصوات لذيذة ويحرك بالغدوات بالحمـل، ويحسـن لـه الـنغم بالتبيين". ويعلق ابن الجزار عن فوائد تقنياته: "أن الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب، ومن أجل ذلك صار الأطفال إن نغم لهم حسنة يستلذونها سكنت طبائعهم وهدأت وناموا من قريب. ويقرب أيضا إلي الصبي ما قد اعتاده من الأشياء التي تطربه وتفرحه ".

ويؤكد المجوسي ما قاله ابن الجزار: "وينوم ويستعمل معه التحريـك بلطف ورفق ويلحن له لحون حسنة فإنه يستلذ النغم الحسن". ويضيف ابن سينا لما قاله ابن الجزار: " فإنه من الواجب أن يلزم الطفل شيئين نـافعين أيضا لتقوية مزاجه أحدهما التحريك اللطيف والآخر الموسيقى والتلحـين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال ". ويحذر البلدي "وينبغـي لدايتـه ألا تضجره ولا تغمه ولا تفارقه". ويضيف ابن سلوم في غاية الإتقـان عـن بعض أنواع الأصوات والحركات: " يجب أن يوقى الطفل الحركة العنيفة والأصوات المزعجة والجلاجل والطبول والطوب والتفنك (البندقية)". يقول كلوت بك في كنوز المعرفة مبينا كيفية سلب حساسية الخوف من الطفـل: "وإن كان الطفل يخاف من رؤية شيء أو شخص ينبغي أن يعـود علـى نظره وقربه وملامسته ليكون جسورا لا يفزع من شيء".

يقول ابن الجزار عن علاقة الطفل حديث الولادة بالآخرين تعبيرا عن النمو الاجتماعي "ويجمع بينه وبين من نشأ معه من الصـبيان، ويحـذر سماع كل شيء له صوت وكل وجبة (وردت كما هي في النص) رفيعـة وأن يتقى عليهم الجهم (الوجه العبوس) من الوجوه التي تفـزع الصـبيان شبه البراقع (خريقة تثقب للعينين) والأشياء البشعة، فإن هذا وشبهه ممـا يدخل على الصبي النظرة الشـديدة". و يؤكـد البلـدي تـأثير المحـيط الاجتماعي وأسلوب معاملة الطفل على أخلاق الطفل وتطبعه بطباع مـن حوله في الباب السادس والأربعين من المقالة الثانية. وعن النمو اللغـوي يقول مصري: لقد نصح الأطباء العرب بالنسبة إلـى الكـلام بـأمرين، الأول: دلك اللسان بما يناسب، والثاني: التدرج في تلقين الطفـل الكـلام (أنظر مصري، 1996).

ويقول الرازي في المنصوري: " حتى إذا قرب وقت الكـلام فلتكثـر الحاضنة دلك لسانه والعبث به ولتدلك أسفل لسانه بعسل ، وتكلم بين يديه وتلقنه كلاما خفيفا" . ويمثل ذلك قول عريب وكذلك المجوسـي والبلـدي وابن سينا. وعن النمو العقلي يقول عريب في خلق الجنين "إن الجنـين إذا ولد كلما تساوى به الزمان يزيد تخيله وتفكره واستعمال الـذهن منـذ أول مرة ". ونمو العقل عند ابن سينا (انظر الحـر، 1991) لا يشـتمل علـى المعاني حال الولادة بل يمر عبر عدة مراحل ليصل إلى المرتبة العليا من مراتب العقول البشرية. ويقسم ابن سينا العقل النظري في "النجـاة" إلـى العقل الهيولاني وهو العقل قبل أي إدراك، أو العقل بالملكة وهـو العقـل الهيولاني وقد حصلت فيه معقولات أولى يتوصل بها ومنها إلى المعقولات الثانية ويكون ذلك بفيض من العقل الفعال. والعقل بالفعـل وهـو العقـل بالمملكة الذي استكمل استعداده الفطري بالفكرة والتعلم. والعقل المسـتفاد وهو العقل بالفعل إذا اتصل مجردا بالعقل الفعال واستحضر ما أدركه من المعقولات كلها أو جلها وكانت المعقولات حاضرة دائما يعقلهـا بالفعـل ويعقل أنه يعقلها. والعقل القدسي أو الحدس وهو أعلى مراتب العقول وهو من خواص الأنبياء.

التدبيـــــر والصحـــة النفسيـــــة

قام مصري (1996) بدراسة علمية رائدة عن تدبير الأطفال الجسـدي والنفسي في التراث العلمي الطبي العربي نال من خلالها درجة الماجستير في تاريخ العلوم عند العرب من جامعة حلب بسوريا. لقد غطت دراسـته عدة موضوعات مهمة احتوى الباب الأول على تدبير الأطفال قبل الولادة من خلال التهيئة للحمل وعلامات الحمل، الحمل وتطوراته ، تدبير الحمل والعناية بالحامل. واشتمل الباب الثاني على تدبير الأطفال بعد الولادة، من خلال تدبير الأطفال في مرحلة الوليد، تدبير الأطفال في مرحلة الرضيع،

تدبير الأطفال في مرحلة ما بعد التمييز، تدبير الطفولة المتأخرة. وغطى الفصل الثالث تدبير الصحة البدنية في الطفولة المتأخرة، التأديب في الطفولة المتأخرة، التعليم في الطفولة المتأخرة. بينما عالج الباب الرابع تدبير مرحلة الشباب، من خلال تدبير الصحة البدنية، التأديب في مرحلة الشباب، تعليم الطفل في مرحلة الشباب.

كما قام مصري كذلك بمسح شامل لبعض المصطلحات المستخدمة في مجال التدبير مثل حفظ الصحة والتعهد والوقاية. لقد استعمل العرب كلمة الوقاية في مجال حفظ الصحة. وأعاروا موضوع حفظ صحة الطفل اهتماما كبيرا يوازي اهتمامهم بعلاج أمراض الأطفال وأعطوه حقه من البحث والتدبير. مثلا، يقول الطبري في "فردوس الحكمة": "وتتوقى عليه من البرد". ويقول ابن الجزار في "سياسة الصبيان" : "وأن يتقى عليهم الجهم في الوجوه التي تفزع الصبيان". وجاء في كتاب "المنصوري" للرازى الكلام على الوقاية من الأمراض. ويقول الزهاوي في "التصريف": "ويحذر عليه من كل صوت جهير ويتقى عليه أن يفزع منه". بينما يذكر ابن سلوم في "غاية الإتقان": " ويجب أن يوقى الطفل الحركة العنيفة". ويستخدم الطبري في الفردوس عبارة "تدبير الربيع وتدبير الصيف". ويحدد ثابت بن قرة في الذخيرة في الطب: " فأما تدبير الأصحاء على الانفصال في الأسنان". أما التدبير كذلك فقد ورد ذكره عند أبي زيد البلخي الذي يقول: " فأما حفظ الصحة فقد بينا في الأبواب التي تقدمت جمل هيئة التدبير"، ويضيف كذلك: " نحن نقصد في هذه المقالة للإخبار بوجه تدبير مصالح الأنفس وحفظ قواها على سبيل الصلاح والاعتدال ".

تناول ابن الجزار موضوع الفروق الفردية والسلوك المكتسب والوراثي من خلال مفهومي العادة والطبيعة قائلا: "فإن رأيت صبيا فيه طبيعة جيدة وعادته صالحة فإنه لا تفارقه الخصال المحمودة الشريفة، لأنه طبع عليها من جهتين قويتين، كما أن ذلك لا تفارقه الخصال المذمومة الدنيئة لأنه طبع عليها من هاتين الجهتين، أعني العادة والطبيعة، مع أن بعض العلماء قال: العادة طبيعة ثانية". ويصف ابن الجزار الفروق الفردية بين الأطفال في التدبير والأدب والحياء قائلا: " لأن الصغير أسلس قيادة وأحسن مولاته وقبولا. فإن قال لنا قائل : قد نجد من الصبيان من يقبل الأدب قبولا سهلا، ونجد منهم من لا يقبل ذلك، وكذلك قد نجد من الصبيان من لا يستحي، ونجد منهم من هو كثير الحياء".

كما عبر ابن الجزار عن جوانب أخرى للفروق الفردية في الوعي والتعلم بالثواب والعقاب قائلا: "ونجد منهم من يعي بما يعمله ويتعلمه بحرص واجتهاد، ونجد من هو يمل التعليم ويبغضه، وقد نجد أيضا في ذوي العناية منهم وذوي العلم من إذا مدح تعلم علما كثيرا، ومنهم من يتعلم إذا عاتبته أو عاتبه المعلم ووبخه، ومنهم من لا يتعلم إلا للفرق من الضرب، وكذلك نجد اختلافا كثيرا ومطردا في الذين يملون التعلم ويبغضونه". وعن الفروق في بعض جوانب الشخصية يقول ابن الجزار: "وقد نرى من الصبيان محبا للكذب ونرى منهم محبا للصدق، ويرى فيهم اختلاف في الأخلاق ومضادة كثيرة بالطبع". ويضيف ابن الجزارعن كيفية مراقبة الطفل بهدف تدبيره: " ينبغي أن يتفقد الصبي في كلامه وقعوده بين الناس وحركته ونومه وقيامه ومطعمه ومشربه، ويلزم في جميع ذلك ما ألزمه العقلاء أنفسهم حتى صاروا وأفعالهم طبيعة من طبائعهم". وتؤثر هذه الفروق الفردية في الكيفية التي يتم بها تدبير الأطفال.

حسب تاريخ علم النفس الغربي، كان أول ذكر لطب الأطفال بوصفه فنا مستقلا يعني " تربية الأطفال تربية صحيحة" في القرن التاسع عشر. ولكن من خلال عرضنا السابق نلاحظ بأن ابن الجزار والبلدي خاصة قد اهتما بموضوع التربية الجسدية والأخلاقية والنفسية للطفل منذ القرن التاسع الميلادي بفارق ألف عام من أول مساهمة غربية للطبيب الفرنسي كارون عام 1865م. يقول ابن الجزار عن أهمية التدبير في مرحلة باكرة من العمر: "ويحبذ أن يؤخذ الأطفال بالأدب منذ الصغر وأنت ترى منهم مثل هذا بالطبع من غير تعليم ولا تأديب، افترى الأدب ينقل الطبع المذموم إلى الطبع المحمود... ". ومن ميزات التدبير المبكر وفقا لابن الجزار: "فمن عود ابنه الأدب والأفعال الحميدة والمذاهب الجميلة في الصغر حاز بذلك الفضيلة ونال المحبة والكرامة وبلغ غاية السعادة، ومن ترك فعل ذلك وتخلى عن العناية به أداه ذلك إلى عظيم النقص والخساسة ، ولعله يعرف فضيلة ذلك في وقت لا يمكنه تلافيه واستدراك ما فاته منه فتحصل له الندامة التي هي ثمرة الخطأ".

واهتم البلدي كذلك بأهمية الصحة النفسية والتربوية للطفل وقد حدد قاسم (1983) آراء البلدي في هذه الناحية من خلال ثلاث مراحل تتعلق بالنمو. أولا: مرحلة الرضاعة إذ يقول البلدي:"فأول مزاجها-النفس- إنما هي المني من الرجل والمرأة وغذائهما مما يشابهها والأدب أيضا قوي على تغيير النفس والبدن لا سيما إذا عود الصبي ذلك وعلم من صغره ما يجب". ونصائحه للمرضع والمربية شملت وقاية الأطفال كل أمر يفزعهم وكل صوت جهير وكل منظر فظيع، وكذلك تمهيدهم بالحركة اللطيفة والصوت الملحن. ثانيا: مرحلة ما قبل المدرسة ويسرد البلدي منهجه في التربية النفسية والأخلاقية للطفل حتى سن السابعة في الباب السادس والأربعين من المقالة الثانية يركز البلدي على ثلاث قواعد أساسية: (1) يبين العلاقة الوثيقة بين الحالات النفسية والأمراض الجسمية. (2) تعليله لأسباب البكاء ومعالجة ذلك في الأطفال تعليل علمي صائب. (3) يؤكد على ضرورة الاعتدال في تلبية رغبات الطفل وعدم المغالاة في ذلك. ثالثا: مرحلة الدراسة والتعليم المهني. ذكر البلدي منهجه التربوي في الباب الثامن والأربعين من المقالة الثانية. مثلا يقول: "فقد يجب على المتولي تدبير الصبيان أن يستعمل في تدبير كل واحد بحسب ما يكون من تقديره فيه مما يؤول إلى حال تصرفه وما يراد له أن يسلك في تدبيره ذلك المسلك".

أما بالنسبة لتقييم الجهود الخاصة التي قدمها الأطباء العرب في مجال حفظ صحة الطفل فقد وجد مصري (1996) أن علي بن ربن الطبري غلب عليه النقل عمن سبقه من الأطباء، ووجد الإبداع عند ابن الجزار ووجد البراعة في التصنيف والتبويب عند البلدي، ولم يتميز ابن سينا عمن سبقه بجدة في المعلومات الخاصة بالعناية بالطفل وإنما تميز بطريقة العرض. ووجد الزهاوي ينقل كثيرا عن ابن الجزار وكذلك فعل ابن سينا. ووجد خروج ابن الف عن آراء من سبقه وجرأته في ترجيح أقوال بعضهم على بعض وهو مثال المحقق المدقق البصير. إن العناية بالطفل في المؤلفات التراثية الطبية وفقا لمصري أخذت البعد المادي والمعنوي معا وقدم الأطباء سياسة رائعة للطفل على مستوى الجسد والنفس ومن هذه الرعاية المتوازنة اكتسب تدبير الأطفال عند العرب والمسلمين صلاحية التعامل معه والأخذ منه حتى زماننا هذا.

المراجـــع

1. ابن الجزار القيرواني. كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم. تحقيق محمد الحبيب الهيلة (1968). تونس: مطبعة المنار.
2. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (توفي 776هجرية). عمل من طب لمن احب.
3. ابن زهر ، عبد الملك. كتاب الأغذية. تحقيق اكسبيراثيون (1922) . مدريد ، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.
4. ابن سينا (ولد 371 هجرية، 980ميلادية). القانون في الطب . القاهرة : مطبعة بولاق (1924هجرية).
5. ابن قرة ، ثابت. الذخيرة في علم الطب. القاهرة: المطبعة الأميرية (1938).
6. إسماعيل، محمد عماد الدين (1989). الطفل من الحمل إلى الرشد. ج1. الكويت: دار القلم.

7. الأنطاكى، داؤد بن عمر (القرن العاشر الهجري). تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب . بيروت : المكتبة الثقافية.
8. البغدادي، علي بن هبل (1362). المختارات في الطب. حيدر أباد: جمعية دائرة المعارف العثمانية.
9. البلدي، أحمد بن محمد. كتاب تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم. تحقيق محمود الحاج قاسم (1980) . بغداد : دار الرشيد للنشر.
10. تاتون، رينه (1988). تاريخ العلوم العام. ترجمة علي مقلد. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
11. الجسماني،عبد العلي (1994). سايكلوجية الطفولة والمراهقة. بيروت: الدار العربية للعلوم.
12. الجوزية، ابن قيم. تحفة المولود بأحكام المولود. تحقيق عبد الغفار البنداري (1986). القاهرة: المكتب الثقافي.
13. الحر، محمد كامل (1991). ابن سيناء حياته- آثاره وفلسفته. بيروت: دار الكتب العلمية.
14. حماد، مفتي (1998). التربية الحركية وتطبيقاتها لرياض الأطفال والمدارس الابتدائية. القاهرة: مؤسسة المختار.
15. الحوارني، محمد، والعنزي، فريح (1997). علم النفس النمائي. الكويت: مطبعة الاختيار.
16. الرازي، محمد بن زكريا. رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم.ترجمة محمود قاسم (1979). بغداد: وزارة العمل والشئون الاجتماعية.
17. رزق الله، عبد المجيد (1983).عبقرية ابن الجزار وريادته في طب الأطفال. أبحاث ودراسات الندوة العلمية لألفية أحمد بن الجزار. 12 - 15 أبريل، 1983، وزارة الشئون الثقافية، تونس.
18. روكلن، موريس (1983). تاريخ علم النفس. نقله إلى العربية علي زيعور. بيروت: دار الأندلس.
19. السيد، فؤاد البهي (1975). الأسس النفسية للنمو. القاهرة: دار الفكر العربي.
20. شحادة، كمال (1983). ابن الجزار وصحة الطفل. ابحاث ودراسات الندوة العلمية لألفية ابن الجزار، 12- 15 أبريل، 1983، وزارة الشئون الثقافية، تونس.
21. صادق ، آمال، وأبو حطب، فؤاد (1988). نمو الإنسان (من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين). الجيزة: مركز التنمية البشرية والمعلومات.
22. الطبري، علي بن ربن. فردوس الحكمة. راجعه محمد الصديقي (1928). برلين: مطبعة أفتاب.
23. عدس، عبد الرحمن ، وتوق، محيي الدين (1986). المدخل إلى علم النفس. نيويورك: جون وايلي وأولاده.
24. علاونة،شفيق (1994). سيكولوجية النمو الإنساني "الطفولة". عمان: دار الفرقان.
25. فلوجل، ج (1988). علم النفس في مائة عام. نقله إلى العربية لطفي فطيم. بيروت: دار الطليعة.
26. قاسم، محمود الحاج (1983). تاريخ طب الأطفال عند العرب. جدة: مطبوعات تهامة.
27. القرطبي، عريب بن سعد. خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين. راجعه نور الدين عبد الخالق (1956).الجزائر.
28. قطاية، سلمان (1983). دراسة مقارنة بين ما جاء في زاد المسافر لابن الجزار وبعض الأطباء العرب.
29. أبحاث ودراسات الندوة العلمية لألفية أحمد بن الجزار. 12-15 أبريل، 1983، وزارة الشئون الثقافية، تونس.
30. كلوت بك (1271ه). كنوز الصحة ويواقيت المنحة. راجعه محمد التونسي. القاهرة: مطبعة بولاق.
31. مصري، محمود (1996). تدبير الأطفال الجسدي والنفسي في التراث العلمي الطبي العربي. رسالة ماجستيرغير منشورة في تاريخ العلوم الطبية، جامعة حلب، سوريا.
32. الهيلة، محمد (1968). مقدمة التحقيق لكتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار. تونس: مطبعة المنار.
33. Boring, E. (1957). A history of experimental psychology. New York: Appleton.
34. Erikson, E. (1950). Childhood and society. New York: Norton.
35. Havighurst, R. (1953). Human development and education. New York: Longmans.
36. Mendel, G. (1965). Children's preferences for differing degrees of novelty. Child Development, 36, 453-465.
37. Piaget, J. (1960). The child's conception of the world. London: Routledge.
38. Singer, J . (1973). The child's world of make-believe. New York: Academic Press.
39. Switsky, H., Haywood, H., & Isett, R. (1974). Exploration, curiosity and play in youngchildren: Effects of stimulus complexity. Developmental Psychology, 10, 321-329.
40. Switsky, H., Haywood, H., & Isett, R. (1974). Exploration, curiosity and play in youngchildren: Effects of stimulus complexity. Developmental Psychology, 10, 321-329.

" مجانين " الصحة النفسية للجميع

www.maganin.com

المركز العربي للطب المسند

www.arabicebm.com

سيكولوجية السياسة العربية – العرب و المستقبليات

أ.د. محمد أحمد النابلسي

Summary : www.arabpsynet.com/Books/Nab.B1.htm

علم النفس الفيزيولوجي

أ.د. أحمد عكاشة

Summary : www.arabpsynet.com/Books/Okasha.B2.htm